مقاربة في تمفصل الإيديولوجيا العامة، وإيديولوجيا المؤلف والنص: رواية "مذكرات دجاجة" لإسحق موسى الحسيني أنموذجاً

موسى م. خوري*

تاريخ تقديم البحث: 1/31 /2021م. تاريخ قبول البحث: 2021/5/3م.

ملخص

تظل رواية "مذكرات دجاجة" لإسحق موسى الحسيني (1942)، ومن بين كل الروايات الفلسطينية التي صدرت قبل عام 1948، الرواية الأبرز حضوراً ومراجعةً في كتب النقد، وفي الكتب التي أرّخت للأدب الفلسطيني، لكنها تظل، هي وبقية الروايات التي صدرت قبل العام المذكور، مجالاً واسعاً لقراءات أخرى جديدة لم تستنفدها، أو قصرت فيها، الدراسات السابقة.

بعد تمهيد يقارب بدايات الرواية الفلسطينية ويضع رواية الحسيني في السياق ويضوئ على دراسات سابقة مهمة، ويبين اتجاهاتها في قراءة الرواية، تستحضر الدراسة في مطلبها الأول إطاراً نظرياً يرتكز على دراسة الناقد الإنجليزي تيري إيجلتون حول الأدب والإيديولوجيا، خصوصاً في الجزئية المتعلقة بالإيديولوجيا العامة زمن إنتاج النص، وإيديولوجيا المؤلف، ثم إيديولوجيا النص. بعد تأسيس المقترب النقدي في المطلب الأول، تراجع الدراسة في مطلبها الثاني الفروق الدقيقة بين الأمثولة (الأليغوريا) التي وظفتها الرواية وبين الرمز، وتعيّن التناص الإنجيلي فيها، ثم يعرض مطلبُها الثالث، في ضوء ما سبق، لتمفصلات الإيديولوجيا العامة وإيديولوجيا المؤلف، وصولاً إلى إيديولوجيا نص الرواية. تخلص الدراسة إلى أن رواية "مذكرات دجاجة" روايةٌ تندرجُ منفصلةً، رغم تباين الدراسات السابقة في قراءتها، عن الإيديولوجيا الفلسطينية العامة زمن الانتداب البريطاني في فلسطين.

الكلمات الدالة: إسحق موسى الحسيني، مذكرات دجاجة، تناص مسيحي، إيديولوجيا، استعارة (كناية).

* دائرة اللغة العربية وآدابها، بيرزيت، جامعة بيرزيت، فلسطين، ص. ب. 14.
حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة. الكرك، الأردن.

Modes of Articulations of the General Ideology, and the Ideologies of the Author and the Text: "Diary of a Hin" by Ishaq Musa Al Husseini as a Model

Mousa M. Khoury

Abstract

Among all the Palestinian novels published before 1948, Ishaq Musa Al Husseini's novel "Diary of a Hin" (1942) remains the most prominent and reviewed novel in the books of literary criticism and the books that chronicled the Palestinian literature; moreover, it remains, along with the rest of the novels published before the aforementioned year, a wide sphere to other new readings that the previous readings did not exhaust or failed to cover.

After an introduction to the beginnings of the Palestinian novel, putting Al Husseini's novel in context, shedding a light on previous important studies, and showing its trends in reading the novel, this study, in its first demand, evokes a theoretical framework based on the study of literature and ideology by the English critic Terry Eglton, particularly in the section regarding the general ideology at the time of text's production, author's ideology, and the text's ideology as well. After establishing the critical approach in the first demand, the study reviews, in its second demand, the nuances between the Allegorical parable employed by the novel and the symbol, it also specifies the biblical Intertextuality within. Hence, the third demand presents the modes of articulations of the general ideology, author's ideology, down to the ideology of the novel's text. The study concludes that the novel "Diary of a Hen" is a disjunct, despite the divergence of the previous studies' readings, from the Palestinian general ideology during the era of the British Mandate in Palestine.

Keywords: Ishaq Musa Al Husseini, "Diary of a Hen", Christian Intertextuality, Ideology, Allegory.

مفتتح:

لم يكن عدد الروايات التي صدرت في فلسطين قبل نكبة عام 1948 كبيراً[1]، وظل الحصول، أو حتى العثور على بعض هذه الروايات القليلة – لظروفٍ هي في الأســـاس تبعات للنكبة – صعباً في حالات، أو مستحيلاً في حـــالات أخرى؛ فقد بقيت روايتا "الوارث" لخليل بيدس و"الحياة بعد الموت" لإسكندر الخوري البيتجالي، وقد صدرتا في العام 1920، غير متوفرتين للقراء حتى زمن قريب جدا[2]. طبيعي، والحال كذلك، أن يكون عدد الروايات التي قاربتها، أو ركزت عليها، الدراســـات المتخصصة في الرواية الفلسطينية أقل من عدد الروايات التي صـــدرت قبل العام المذكور.

كان لضياع الروايات، أو لصـــعوبة الحصول عليها، تأثير كبير كذلك على طبيعة التلقي، وعلى صناعة تاريخ قراءة بواكير الرواية الفلسطينية؛ فقد ظل النقاد يقتاتون على مقاربة ناصر الدين الأسد لرواية "الوارث" على سبيل المثال، وظلوا يكررون مقولاته حولها معتمدين بالأساس على ملخصٍ مجزوءٍ للرواية أورده الأســـد في أكثر من كتاب له حول الأدب الفلـــسطيني[3]. لم تغيّر، في الحقيقة، إعادة إصدار رواية الوارث شيئا من مشهد التلقي المكـــرور هذا، ودخل ما قاله الأســـد عن الرواية، وعن غيرها من الروايات الفلســـطينية الصادرة قبل النكبة، خانةَ المكرس الذي ظل، لســـنوات طوال، عصيا على النقد أو النقض[4].

(1) عدد الروايات الفلسطينية التي صدرت منذ بداية القرن العشرين حتى وقوع النكبة يقترب من عشرين رواية، وأغلبها غير معروف، والحصول على بعضها صعب جدا أو مستحيل. مع ذلك، هناك إجماع على أن أول رواية فنية صدرت في فلسطين هي الوارث لخليل بيدس (1920)، وآخر رواية صدرت قبل وقوع النكبة هي في الصميم لإسكندر الخوري البيتجالي (1947). للوقوف على مسرد تاريخي للرواية الفلسطينية قبل النكبة، ينظر: المالكي، فرج عبد الحسيب. عتبة العنوان في الرواية الفلسطينية: دراسة في النص الموازي (رسالة ماجستير غير منشورة). دائرة اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة النجاح، فلسطين، 2003.

(2) أعادت الدار الرقمية في مدينة رام الله نشر رواية الوارث في العام 2011، وأعادت نشر رواية الحياة بعد الموت في العام 2018، وذلك بعد ضياع الروايتين مدةً تجاوزت السبعين عاما.

(3) ينظر: الأسد، ناصر الدين. الحياة الأدبية في فلسطين والأردن حتى سنة 1950. ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2000، وينظر أيضا: الأسد، ناصر الدين. خليل بيدس رائد القصة العربية الحديثة في فلسين. ط2، وزارة الثقافة الفلسطينية، رام الله، 2001.

(4) في رسالته لنيل شهادة الماجستير، قدم الطالب محمود النابلسي أطروحة تناقض ما ذهب إليه الأسد حول عدم تأثر الرواية الفلسطينية بالأدب الشعبي، ينظر: النابلسي، محمود. الراوي والروائي: الشفاهية في بواكير الرواية الفلسطينية قبل عام 1948، (رسالة ماجستير

بين ضياع الروايات أو صعوبة الحصول عليها، وبين الاقتيات على مقولات الناقديْن المؤسسيْن (ناصر الدين الأسد وعبد الرحمن ياغي) وعلى قراءات مكرورة إلى حد ملحوظ لأعلام من نقاد الجيل اللاحق[1]، يمكن القول إن الرواية الفلسطينية قبل عام 1948 لم تأخذ نصيبها من النقد الذي يؤسس لقراءات جديدة، ويضطلع بتقديم فهمٍ مغاير لبواكير الرواية الفلسطينية ضمن سياقاتها التاريخية والثقافية وخلافها، ثم تفسير علاقة كل ذلك بالنظر إلى أطاريح هذه الروايات وأنساقها الفنية. من المسائل التي تحتاج إلى مراجعة متأنية، على سبيل المثال، الهجنةُ السردية (hybirdination)[2] التي طغت على نصوص الرواد وجعلتهم غير قادرين على الخروج من عباءة الراوي الشعبي في زمن كان فيه المجتمع الفلسطيني يعيش في منطقة حدودية بين المجتمعات الشفاهية والمجتمعات الكتابية[3].

غير منشورة). دائرة اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة بيرزيت، فلسطين، 2018. وقدم قبله موسى خوري رسالته لنيل شهادة الدكتوراه، ووقف فيها على تسرب الشفاهي إلى الكتابي في القصة الفلسطينية القصيرة، ينظر:

Khoury, Mousa M. Storytelling and the Emergence of a Literary Genre, (Unpublished Dissertation). Near Eastern Studies, University of Michigan, USA, 1994.

(1) من هؤلاء النقاد: أحمد أبو مطر، وسلمى الخضراء الجيوسي، وإبراهيم السعافين، وشكري عزيز الماضي، وواصف أبو الشباب، وحنا أبو حنا، وغيرهم. كل هؤلاء لم يخرجوا في دراساتهم، بشكل أو بآخر، عما قاله ناصر الدين الأسد عن رواية الوارث، وعن غيرها.

(2) التهجين عند باختين يعني "مزج لغتين اجتماعيتين داخل ملفوظ واحد، وهو أيضا التقاء وعيَيْن لسانيين مفصولين بحقبة زمنية، وبفارق اجتماعي، أو بهما معا، داخل ساحة ذلك الملفوظ"، ويحدد تيري إيجلتون هذه الهجنة في سياق حديثه عن صيغة الإنتاج الأدبية، وعن كيفية تدّخل الشفوي، ضمن شروط تاريخية معينة، في تشكيل صيغ الإنتاج الأدبي المكتوب، ويوزّع والتر ج. أونج المجتمعاتِ، فيما يختص بعلاقتها مع الكتابة، على ثلاثة أنواع: مجتمعات شفاهية أولية لم تتقاطع مع الحرف مطلقا، وأخرى كتابية محضة استبطنت الحرف وتخلصت بذلك، من كل العلامات الفارقة للمجتمعات الشفاهية، ونوع ثالث يقع بين النوعين السابقين هو المجتمعات الشفاهية الملقحة بالكتابة. في النوع الثالث من المجتمعات يتسلل الشفاهي إلى الكتابي، وتظهر في المخرجات الكتابية، على اختلافها، علامات شفاهية فارقة يصعب تجاورها؛ ذلك لأنها متجذرة في اللاوعي الفردي والجمعي الخاص بهذه المجتمعات وهي تعيش شرطها الثقافي في المناطق الحدودية بين النوعين الأول والثاني. ينظر على التوالي: باختين، ميخائيل. الخطاب الروائي. ترجمة: محمد برادة، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1987، ص 120؛ إيجلتون، تيري. النقد والإيديولوجيا. ترجمة: فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1992، ص 61–62؛ أونج، والتر. ج. الشفاهية والكتابية. ترجمة: حسن البنا عز الدين، عالم المعرفة، الكويت، 1994، ص 59.

(3) قدّمت نشرة وزارة المعارف العثمانية للعام الدراسي (1913–1914) إحصائياتٍ دالةً تتعلق بواقع التعليم في فلسطين، فقد حددت هذه النشرة عدد المدارس في الألوية الثلاثة في حينه (القدس ونابلس وعكا)، وحددت مراحلها، وأشّرت على عدد الطلبة الملتحقين بها. كان التعليم في المرحلتين الإعدادية والثانوية، وفق النشرة، نادرا في العام الدراسي المذكور، ما يعني أن أعداد الطلبة في المرحلتين بقيت ضئيلة حد الغياب، في حين كانت مدارس التعليم الابتدائي أقرب إلى كتاتيب "لا يكاد يحصّل منها المتعلّم شيئا غير معرفة يسيرة بالقراءة والكتابة

من بين كل الروايات التي صدرت قبل عام 1948، تظل رواية "مذكرات دجاجة" الرواية الأبرز، والأكثر توفراً دون ضياع أو انقطاع، فقد نشرت طبعة الرواية الأولى عام 1943 في العدد الثامن من سلسلة "اقرأ" الصادرة عن دار المعارف المصرية عام 1943، وقدم لها في حينه عميد الأدب العربي طه حسين، ثم أعيد إصدارها عام 1953 عن السلسلة نفسها بسبب الرواج الكبير الذي لاقته طبعتها الأولى[1]. توالت طبعات الرواية لاحقاً، فصدرت في بيروت عن الاتحاد العام للكتّاب والصحفيين الفلسطينيين ضمن سلسلة إحياء التراث الثقافي الفلسطيني عام 1981، وصدرت بعد ذلك في القدس ضمن السلسلة الشهرية "كتاب الفجر" عن منشورات الفجر مطلع التسعينيات، وهي الطبعة المستخدمة هنا[2]، ثم صدرت مؤخراً طبعتان أخريان لهذه الرواية ذائعة الصيت، الأولى عن الهيئة المصرية العامة للكتاب عام 2017، والثانية عن وزارة الثقافة والرياضة القطرية ضمن سلسلة "كتاب الدوحة" عام 2018.

وُصفت رواية "مذكرات دجاجة" بأنها رواية إشكالية، وهذا التوصيف الذي ورد في مقالة لعادل الأسطا [3] دقيق بالنظر إلى تباين تأويل النقاد في مقارباتهم للرواية. توزعت مقاربات "مذكرات دجاجة" في الدراسات التي اهتمت ببواكير الرواية الفلسطينية على اتجاهين رئيسين: الأول، وهو الاتجاه الغالب، يربط الرواية بالقضية الفلسطينية، ويَسِمُها بأنها نص مستسلم أمام الآخر الذي احتل البيت، "بيت الدجاجات في الرواية"، وطرد سكانه الأصليين الذين انتشروا مع نهاية الرواية، وبتوجيه

وتجويد القرآن"، ولم يتجاوز عددها المئة في الألوية الثلاثة، وكانت تستوعب عُشر أبناء فلسطين ممن كانوا في سن التعليم الابتدائي وقت إصدار النشرة. صحيح أن مشهد التعليم تغيّر زمن الانتداب البريطاني مع ارتفاع عدد المدارس وتغيّر فلسفتها التعليمية، لكن تغيّر هذا المشهد لم ينقل المجتمع الفلسطيني من مجتمع شفاهي بحت إلى مجتمع كتابي متخلص تماما من الهجنة. ينظر: الأسد، الحياة الأدبية في فلسطين والأردن حتى سنة 1950، ص 33-34.

(1) فازت رواية مذكرات دجاجة بالجائزة الأولى في الاستفتاء الذي أجرته دار المعارف بالقاهرة لقراء العربية حول أفضل ما نشر في سلسلة (اقرأ)، ينظر: ياغي، عبد الرحمن. أكتب عن رواد النهضة في فلسطين. ط1، الدائرة الثقافية، أمانة عمان الكبرى، 2005، ص 307.

(2) الحسيني، إسحق موسى. مذكرات دجاجة. منشورات الفجر، القدس، د. ت.

(3) الأسطا، عادل: "مذكرات دجاجة: الرواية الإشكالية شاشة نيوز، www.shasha.ps، واسترجعت بتاريخ 27-11-2020.

من الدجاجة "العاقلة"[1]، في أركـــان الأرض لغايات التبشـــير بالحق وبالعدل[2]. ذهبت الدراسات في هذا الاتجـــاه إلى أن خروج الدجاجات واستسلامها للدجاجات الغريبات، وفض ثورة الزعيم ودعوته إلى نشر المبادئ في كل الفضاءات خارج البيت يعدّ نوعاً من خضوع مجاني لســلطة الكيان الصهيوني الذي تمثله الدجاجات الغريبات، ويســهم، دون قصد لا بأس، في تمرير مخططات هذا الكـيان التي ترمي إلى تطهير فلســطين عرقياً من سـكانها الأصليين[3]. يربط أصـحاب التيار الثاني[4] الروايـــةَ بالأبعاد الإنسانية ويروْن أنها عمل يوتوبي محض ينزع نحو مجتمع إنساني مثالي يسوده الأمن والسلام والطمأنينة[5]، ذلك لما فيها من حمولات فلسفية وأخلاقية موزعة في الغالب على

(1) أطلق هذه الصفة على الدجاجة الدكتور طه حسين في تقديمه للرواية، ينظر: الحسيني، مذكرات دجاجة، ص 5.

(2) ينظر على سبيل المثال: الأسد، الحياة الأدبية في فلسطين والأردن حتى سنة 1950، ص 33–34؛ أبو مطر، أحمد. الرواية في الأدب الفلسطيني. ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980، ص 38–39؛ وادي، فاروق. ثلاث علامات في الرواية الفلسطينية: غسان كنفاني، إميل حبيبي، جبرا إبراهيم جبرا، ط2، دار الأسوار، عكا، 1985، ص 26–30؛ الجيوسي، سلمى الخضراء. مقدمة أنثولوجيا الأدب الفلسطيني الحديث. ترجمة: عبد اللطيف البرغوثي، مطبعة جامعة كولمبيا، نيويورك، 1992، ص 22–23؛ الخليلي، علي. الورثة الرواة، من النكبة إلى الدولة. ط1، مؤسسة الأسوار، عكا، 2001، ص 20–22؛ الفاعوري، عوني. "قراءة في رواية مذكرات دجاجة." مجلة جامعة دمشق، المجلد 18، العدد 4-3، 2002، ص 82–83.

(3) يمكن الحديث، في سياق الاتجاهات هذا، عن اتجاه آخر يتفرع عن الاتجاه الأول، فهو يربط الرواية بالقضية الفلسطينية، لكنه لا يرى فيها دعوة إلى الاستسلام، إنما يرى فيها خطابا مبطنا يعري هذا الاستسلام بشكل ضمني ويفضح بالتالي مواقف الدجاجة العاقلة. جاء هذا التأويل في دراسة واحدة يتيمة لسنا في صدد الحكم عليها، لكن يكفي أن هذه القراءة التي جاءت في فصل تمهيدي يتناول الرمز في أدب غسان كنفاني وتقدمت بها الطالبة خالدة الشيخ خليل لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الجزائر عام 1987، قد بقيت قراءة يتيمة لم تفلح في تخليق أتباع تشكّل قراءتهم مع قراءة أتباع التيار الأول والثاني تاريخ قراءة رواية الحسيني. ينظر: الشيخ خليل، خالدة. الرمز في أدب غسان كنفاني. ط1، شرق برس، نيقوسيا– قبرص، 1989، ص48-22.

(4) ينظر على سبيل المثال: السعافين، إبراهيم. نشأة الرواية والمسرحية في فلسطين حتى عام 1948. ط1، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1985، ص 8؛ ياغي، عبد الرحمن. حياة الأدب الفلسطيني الحديث من أول النهضة حتى النكبة. ط2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1981، ص 519-518؛ قنازع، جورج. "قراءة جديدة لكتاب إسحق موسى الحسيني "مذكرات دجاجة." مجلة الكرمل: أبحاث في اللغة والأدب، العدد2، 1981، ص 102-82.

(5) لم ينف، بالطبع، أصحاب الاتجاه الأول يوتوبية الرواية في تعاملها مع المسألة الفلسطينية بمثالية منعزلة عن واقع الحقائق السياسية/عن المكان. حول اليوتوبيا باعتبارها نزعة نحو مجتمع إنساني مثالي يسوده الأمن والسلام

قطبي الخير والشر، والفضيلة والرذيلة، والقوة والضعف، والعدل والظلم، وغير ذلك من ثنائيات ترتد بنائياً إلى فضاء شفاهي لم يحقق رواد الرواية الفلسطينية خلاصاً تاماً من متحكمات إنتاجه[1]. يذكر أن الدراسات في الاتجاهين الآنفين ركزت على أن رواية "مذكرات دجاجة" تعتمد في تمرير مقولاتها، التي سيأتي ذكرها في محوري البحث الثاني والثالث، الرمز، لكنها لم تعيّن (أي الدراسات) الفرق الدقيق بين الرمز والأليغوريا، مع أنها لم تقصر في الإحالة على كتابات إليغورية عربية نحو "كليلة ودمنة" لابن المقفع، وأخرى غير عربية نحو "مزرعة الحيوان" لجورج أورويل.

تتغيا هذه الدراسة تقديم قراءة تتكئ في محورها الأول على فرشة نظرية لمقترب نقدي لم يرد في الدراسات التي تناولت الرواية من قبل. يأتي هذا المقترب من دراسة للناقد الإنجليزي تيري إيجلتون حول الأدب والإيديولوجيا، خصوصا في الجزئية المتعلقة بالإيديولوجيا العامة زمن إنتاج النص، وإيديولوجيا المؤلف، ثم إيديولوجيا النص نفسه. بعد التأسيس لهذا المقترب النقدي، تراجع الدراسة في مطلبها الثاني الفروق الدقيقة بين الأليغوريا التي وظفتها الرواية وبين الرمز، ثم تعيّن فيها التناص الإنجيلي الذي لم تتطرق إليه الدراسات السابقة. في مطلب الدراسة الثالث سيتم ترحيل ما صار التأسيس له في المطلبين السابقين إلى فضاء تطبيقي يعرض لتمفصلات الإيديولوجيا العامة زمن إنتاج النص، وإيديولوجيا المؤلف (إسحق موسى الحسيني)، ثم يفسر، ضمن ما يطلق عليه تيري إيجلتون "أشكال التناظر والانفصال والتناقض"، إيديولوجيا نص "مذكرات دجاجة".

المطلب الأول: تيري إيجلتون والقول في الأدب والإيديولوجيا

قدّم الناقد الإنجليزي تيري إيجلتون في كتابه "النقد والإيديولوجيا" منهجاً تحليلياً، يقع ضمن مدرسة النقد الأدبي الماركسية، يؤكد فيه العلاقة بين الأدب والإيديولوجيا، تلك العلاقة التي يتحكم فيها التمفصلُ التاريخيُّ المعقد بين البِنيات المكونة للمدرسة الأدبية، ويشكل بالنتيجة أي نص أدبي؛ ذلك لأن "كل عمل أدبي من صنع أشياء عديدة إضافة إلى كونه من صنع المؤلف"[2]، إذ هو ليس وليد

والطمأنينة، ينظر: نصار، نواف. معجم المصطلحات الأدبية. ط1، دار المعتز للنشر والتوزيع، عمان، ص 365-366.

(1) من متحكمات أو وحدات إنتاج الأدب الشفاهي الكثيرة: التكرار، والإطناب، والجمل الموقعة، والمبالغة، والمخاصمة، وغياب التفريع التحليلي، وغيرها كثير: حول هذه المتحكمات وغيرها ينظر: أونغ، الشفاهية والكتابية، ص 94-110.

(2) القول لبول فاليري، وقد ورد اقتباسا استهلاليا في مطلع الفصل الثاني من كتاب إيجلتون النقد والإيديولوجيا، ص59.

لحظة ملهمة منقطعة عن تفاصيل بيئته أو لحظات إنتاجه التاريخية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية. جدير بالإشارة، هنا، إلى أن إيجلتون يتجاوز فكرة أن الأدب انعكاس لإيديولوجيا عامة مهيمنة فقط، ويرى فيه، أيضا، تعبيرا عن إيديولوجيات مختلفة/متصارعة ومؤثرة لطبقات اجتماعية كالبرجوازية الصغيرة والبروليتاريا والفلاحين، وتعبيرا عن صيغ أيديولوجية أخرى كالثقافة السائدة في أطرها الدينية والأخلاقية وخلافها[1].

يبدأ إيجلتون حديثه محددا العناصر أو البنيات التي تعين على مقاربة الأدب باعتبار علاقته بالإيديولوجيا، يقول: "من الممكن أن نضع (بصورة تخطيطية) العناصر المكونة لنظرية ماركسية في الأدب، كما يلي: صيغة الإنتاج العامة (General mode of production)، وصيغة الإنتاج الأدبية (Literary mode of production)، والإيديولوجية العامة (General ideology)، وإيديولوجية المؤلف (Authorial ideology) ، والنص (Text)"[2]، وفي مستهل حديثه عن هذه العناصر أو البنيات يشير إشارة مقتضبة جدا إلى الصيغة الأولى، صيغة الإنتاج العامة، التي تشكل، مع متعلقاتها من قوى إنتاج وعلاقات إنتاج اجتماعية، ركنا مهما من أركان أطاريح ماركس وأنجلز. جاء هذا الحديث المقتضب حول الصيغة الأولى، وهي صيغة اقتصادية بالأساس، بحسب إيجلتون، "ليميز صيغة الإنتاج الاقتصادي عن صيغة الإنتاج الأدبية"[3].

أسهب إيجلتون في تناول صيغة الإنتاج الأدبية، وقدّم أمثلة كثيرة لتوضيح المسألة وكشفِ تمفصلاتها الدقيقة والمعقدة مع صيغة الإنتاج العام، واستهل حديثه حول العلاقة بين صيغة الإنتاج العام وصيغة الإنتاج الأدبية مذكرا بعصر الطباعة الذي جلب أهمية للإنتاج الأدبي ضمن الإنتاج العام، حين أصبح الأول إنتاجا سِلَعِيا، وتحولت مخرجاته من مخطوطات تتمتع بها (تستهلكها) طبقة محدودة و"نبيلة" إلى شكل كتاب مطبوع أصبح، بحكم تطور علاقات الإنتاج الاجتماعية، في متناول قطاعات عريضة تقطن المدن، وينتشر التعليم بينها، وتتمتع بمستوى دخل هيّأ لتطور أساليب حياتها[4]. أشار إيجلتون، بعد هذا المثال المادي إلى حد كبير، إلى أن التشكيلات الاجتماعية تستدعي صيغة إنتاج أدبية معينة أو تتمفصل معها في علاقات متفاوتة من التبعية والاستقلال؛

(1) إيجلتون، النقد والإيديولوجيا، ص 70.

(2) المصدر نفسه، ص 60.

(3) المصدر نفسه، ص 61.

(4) إيجلتون، النقد والإيديولوجيا، ص 66.

فصيغ الإنتاج الأدبية التي كانت سائدة في إنجلترا الإقطاعية تختلف بالضرورة عن صيغ الإنتاج الأدبية حين ساد النظام الرأسمالي في البلد المذكور. هناك، باختصار، علاقات اجتماعية معينة تحكم عملية الإنتاج الأدبي، فالنص يحمل، وفق ما ذهب إليه إيجلتون، أثر صيغة إنتاجه التاريخية التي تصبح مكونا داخليا له[1]. إن النصوص التي ترعاها الكنيسة، على سبيل المثال، نصوص ورعة وتتمفصل متناظرة، مع أطاريح الكنيسة؛ والنصوص التي يرعاها ملك خارج إلى القتال، بالمقابل، ستحكي حكايات البطولة والتضحية[2]، وتكون النصوص التي أنتجها الشعراء الصعاليك، قياسا على ذلك، نصوصا غير متناظرة/متناقضة مع مصلحة القبيلة، وتختلف عن نصوص شاعر القبيلة المكلّف بالدفاع عن أمجاد قبيلته. يختتم إيجلتون حديثه حول صيغة الإنتاج الأدبية مقرراً أن " كل نص أدبي، يُدَخْلِن، بصورة ما، علاقات إنتاجه الاجتماعية... ويكوّن الشفرة الداخلية لإيديولوجيته الخاصة بكيف أنتج، وبوساطة من، ولمن أنتج"[3] .

ينتقل إيجلتون، بعد أن فصّل الحديث حول صيغتي الإنتاج العام والإنتاج الأدبي، إلى مقارعة الصيغ الثلاث الأخرى، أي الإيديولوجيا العامة، وإيديولوجيا المؤلف، ثم تمفصلهما الذي يحدد الصيغة الثالثة: إيديولولجيا النص.

قبل أن يبسط حديثه حول الإيديولوجيات الثلاث وحتمية تمفصلها، يؤكد إيجلتون أن صيغة الإنتاج العام التي تهيء لظهور سلسلة من صيغ الإنتاج الأدبية في مرحلة تاريخية معينة، تنتج دائما تشكيلا إيديولوجياً سائداً[4]، ثم يعرّف هذا التشكيل الإيديولوجي/ الإيديولوجيا العامة بأنه "طقم من خطابات من القيم متماسك نسبيا، يسهم بدوره في إعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية السائدة"[5]. من الأمثلة الكثيرة التي يسوقها إيجلتون في سياق حديثه عن التشكيل الإيديولوجي السائد أو العام، حديثه عن نظام التعليم، وعن متعلقاته من مناهج تُستخدمُ خطاطات عريضة لإنتاج المقررات الدراسية، ثم اختيارات المعدّين لنصوص هذه المقررات لضمان خدمتها لتشكيل إيديولوجي بعينه، وضمان إعادة إنتاجه. هنا ينزع إيجلتون البراءة عن النصوص، ويعلق على لغتها بأنها "أرض مجرّحة ومصدّعة"[6]

(1) المصدر نفسه، ص 64.

(2) المصدر نفسه، ص 64.

(3) المصدر نفسه، ص 64.

(4) إيجلتون، النقد والإيديولوجيا، ص 70.

(5) المصدر نفسه، ص 70.

(6) المصدر نفسه، ص 71.

بفعل عوامل كثيرة نحو: زلازل التاريخ السياسي، والصراعات القومية والإقليمية، والمصالح الطبقية، وغيرها. ليس الأدب، ما دام ذلك كذلك، سوى أثر ونتيجة لمثل هذه الصراعات، وله دور حاسم في تحقق سيطرة طبقة مستعمرة وتَحقُّقِ إيديولوجيتها من جهة، وله، من جهة أخرى، وظيفة حاسمة في ترميم هويةِ الدولة الخاضعة أو الطبقة المبعثرة وتخليدها[1].

يبقى، في إطار الحديث عن النص بوصفه نتاجا لصيغة أدبية عامة تؤثر عليه وتشكّل إيديولوجيته، نقطتان متصلتان بالعلاقة بين صيغة الإنتاج الأدبية والإيديولوجيا العامة. في النقطة الأولى يؤكد إيجلتون على أن النتاجات النصية/الأدبية تعيد إنتاج الإيديولوجيا العامة إذا كانت متناظرة معها، ويمكن أن تسهم في تقويضها إذا جاءت في وضعية تعارض معها. في النقطة الثانية يذكر إيجلتون بالممارسات الإيديولوجية لجهة ما على النص الأدبي، ويتحدث عن مسألة الرقابة، أو ما يطلق عليه التحكم الإيديولوجي[2] الذي يأخذ أشكالا عدة تتوزع بين التحكم في مسألة الإنتاج أو التوزيع أو الاستهلاك، وبين الإجازة ورعاية النص، ثم يختم حديثه حول مسألة الرقابة، بأشكالها التي يمكن أن تتعدد، مشيرا إلى أنها ترمي إلى تأبيد أمية الجموع، أي جعلها خاضعة للإيديولوجيا العامة للطبقة المهيمنة أو للسلطة.

يعرّف إيجلتون الصيغة أو البنية الرابعة، وهي إيديولوجيا المؤلف، بأنها "الأثر النوعي لصيغة اندراج سيرة المؤلف في الإيديولوجية العامة، وهي صيغة الاندراج المحتمة بوساطة عوامل بارزة: الطبقة الاجتماعية، الجنس، القومية، الدين، والإقليم الجغرافي، وهكذا"[3]، ثم يضيف بأن إيديولوجيا المؤلف لا تؤخذ كعامل مستقل عن الإيديولوجيا العامة، بل تدرس في تمفصلها معها في علاقات تتراوح ما بين التناظر الفعلي، والانفصال الجزئي، والتناقض الحاد. من الأمثلة التي يستخدمها إيجلتون في هذا السياق مثال بلزاك الذي تجاوزت عبقريته عبقرية عصره، وتمكن في نصوصه من نثر بذار الوعي بِجَوْر البرجوازيات المهيمنة على طبقات دنيا مثل الفلاحين، ومن تحقيق "أثر فعلي" في الشكل الجمالي المحدد الذي عمل عليه (الواقعية) [4]. إن تبصر بلزاك وإدراكه، ولو الجزئي، لحركة التاريخ جاء إذن نتيجة لصيغة اندراج إيديولوجيته في الإيديولوجية العامة وفي صيغة الإنتاج

(1) المصدر نفسه، ص 71.

(2) إيجلتون، النقد والإيديولوجيا، ص 74.

(3) المصدر نفسه، ص 75.

(4) المصدر نفسه، ص 89.

الأدبية لعصره. بالنظر إلى الصيغ الأربع التي تناولها إيجلتون وحتمية تمفصلاتها، يكون النص، في الختام، نتاجا لوضعية معينة أساسها، مرة أخرى، تمفصل هذه الصيغ تمفصلا حتميا يجرد النص من كل إمكانية تجعله "نتاجا سالبا فحسب"[1].

المطلب الثاني: مذكرات دجاجة، الأليغوريا والتناص

1- الأليغوريا:

تأتي كلمة أليغوريا (Allegory) من اليونانية، وتعني تحدّث/كتب بطريقة أخرى أو بصورة مختلفة. والأليغوريا قصةٌ (شعرا أو نثرا) لها معنى مزدوج: الأول سطحي ظاهر، والثاني باطن أو مستتر. المعنى الثاني هو المعنى العميق الذي يشكل أساسا لمغزى العمل، وهدف القصة أن توصل هذا المغزى بالطريقة التي تجعلها أكثر متعة وتشويقا، أو أكثر مواربة حين يتعلق الأمر بالرقابة مثلا. تختلف الأليغوريا، والحال، عن المجاز، فالمجاز يكون في عبارة أو مجموعة عبارات يُكشف القصد منه بكشف العلاقة بين الموجود في العبارة وبين المحذوف المقصود، كأن نقول "أرسلنا عينا على الأعداء" والقصد أننا أرسلنا جاسوسا يراقبهم. تتحدث معاجم المصطلحات الأدبية أحيانا عن الأليغوريا باعتبارها مجازاً ممتداً أو "مجازاً مستمراً"[2]، أي قصة مجازيةٌ يحيل الموجود فيها من شخصيات ومواقف ومفاهيم على مقصود آخر مختلف. هكذا تختلف الأليغوريا ويختلف المجاز عن الرمز، فالأخير يكون كلمة، أو عبارة، أو تصرفا، أو صورة، تمثل شيئا آخر في سياق معطى؛ فالحمامة رمز للسلام، والقلب للحب، والتبسم (باعتباره فعلا) للصداقة والمودة، والأسود للحزن، والأحمر للخطر أو الحب، والتربيت على الكتف للتعاطف واللطف. الرمز له وجود بالفعل، هو العينيّ الذي يدرك بالحواس ويحيل على مجرد، وهو تقنية تستثمرها الأليغوريا بالضرورة. هكذا يصير فعل دخول الدجاجات الغريبات في رواية "مذكرات دجاجة" رمزاً لهجرة اليهود إلى فلسطين، والعملاق رمزاً للانتداب البريطاني عليها، واندغام هذين الرمزين مع رموز أخرى في سياق قصة ما يخدم أليغوريتها، أي يخدم ما يقوله ظاهرها من أحداث أو أفعالِ شخصيات لكي يحيل على باطن مختلف تماما[3].

(1) المصدر نفسه، ص 81.

(2) علوش، سعيد. معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر. ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2019، ص46.

(3) حول الفروقات بين الأليغوريا والمجاز والرمز ينظر:

Baldick, Chris. The Concise Oxford Dictionary of Literary Terms. Oxford University Press, New York, 1991, pp. 5, 134, 218, 219.

تنظم رواية مذكرات دجاجة، وهي رواية أليغورية على غرار كليلة ودمنة ومزرعة الحيوان، حبكةٌ طوليةٌ[1] يصير معها توليف متوالية من الأحداث يقدّمها راو عليم هو دجاجة فلسطينية عاقلة تؤدي في الرواية دور الشخصية الرئيسة. يفعل و/أو يتلفظ إلى جانب هذه الدجاجة عدد من الدجاجات، ويشكلّن بأفعالهن وتلفظاتهن نقاطَ تطور الحبكة وصعودها نحو ذروة من التأزم الذي يعقبه الحل، أو ما يُتصور بأنه الحل.

تتوزع حبكة الرواية الطولية في خط سيرها على عدد من الحركات التي تحضّر لدخول الشخصيات وتهيء لتأزم الصراع. أولى هذه الحركات انتقالُ الدجاجة العاقلة إلى مأوى جديد فُرض عليها أن تعيش فيه وتتأقلم مع أتراب جدد وتألف زوجا جديدا. في الحركة الثانية يغيّب الموت الزوج (الديك) الذي يمثل مصدر الأمان والاطمئنان، وهذا الغياب يهيّيء الوضع لانتقال القصة من حالة ثبات إلى حالة خلخلة تتعمق مع ارتفاع وتيرة الصراع؛ ما يتيح للدجاجة العاقلة أن تتصدر المشهد، وتقود أترابها، وتمرر سرديتها في الإخاء والتسامح والعدل، وفي حتمية غلبة الخير على الشر، وخلاف ذلك من ثنائيات ضدية. يحضر، في الحركة الثالثة، بعد دخول الرواية في حالة الخلخلة التي هيأ لها غياب الزوج، مخلوق غريب ضعيف يعاني الفقر والجوع، ثم يتضح لاحقا أنه من جنس الدجاجات، ولا بد، استنادا إلى فلسفة الدجاجة الفلسطينية العاقلة، من أن تُمد له يد العون. يظهر في حركة الرواية الرابعة عملاق يحرس الطريق الذي سلكته الدجاجات بحثا عن الدجاجة الغريبة الضعيفة، ثم يكشف السرد أن هذه الدجاجة ليست وحيدة، بل تنتمي إلى عائلة من الدجاجات الجائعات المترقبات، وكثيرات الشك بنوايا الدجاجة العاقلة ونوايا أترابها اللواتي أظهرن استعدادهن للمساعدة.

يقتحم العملاق، في المفصل الرابع من صعود الحبكة نحو ذروتها، مسكن الدجاجات الفلسطينيات ويختطفهن باستثناء الدجاجةِ العاقلة التي طعنت ومجموعةٍ صغيرة من الدجاجات حديثات السن، وفي حركة الرواية الخامسة تظهر الدجاجة العاقلة وهي تمنع، بكل ما أوتيت من "حكمة"، الدجاجات المتبقيات من الثورة ضد العملاق، وتنظّر لأهمية نبذ فكرة الانتقام التي تقود صاحبها إلى الويل، ثم تستغرق في حديث حول أهمية التبشير بالحق والعدل والتسامح. تدب في

Cuddon, J.A.. The Penguin Dictionary of Literary Terms and Literary Theory. Penguin Books, USA, 1992, pp. 22, 23, 542, 543,

(1) كل الحكايات الشعبية تقوم على حبكة طولية لا تقديم فيها ولا تأخير، فهي لا تتكئ على تقنيات سردية كتابية نحو: الاستباق، والإرهاص، والاسترجاع، والتضمين، وخلافها.

الحركة السادسة جلبة غير مألوفة في مسكن الدجاجات تحدثها الدجاجات الغريبات اللواتي بدأن يزاحمن الدجاجات الفلسطينيات على مسكنهن، لتدب، بالتوازي مع ذلك، الحمية الوعظية عند الدجاجة العاقلة التي خسرت مسكنها كما خسرته الدجاجات الأخريات، وترفع نبرة الوعظ إلى حدودها القصوى حين تطلب من الدجاجات أن يتركن المكان للغريبات وينتشرن في أرجاء الأرض كلها لكيما يبشرن بالعدل والإخاء والتسامح، وبحتمية انتصار الحق مهما تراكمت الخسارات وطال الزمن.

تجمع كل الدراسات التي تنتمي إلى التيار الأول في مقاربة الرواية على أن ما يبطنه هذا العمل الأليغوري مختلف عن ظاهره بالضرورة، وما الدجاجة العاقلة وأترابها سوى تمثيل للفلسطيني، تماماً كما هو المسكن المستباح تمثيل لفلسطين. يصير العملاق في هذا السياق رمزاً للانتداب البريطاني الذي يسّر الوجود الصهيوني في فلسطين، وتصير الدجاجات الغريبات رمزاً للعصابات اليهودية التي بدأت تحضر لاحتلال فلسطين قبل وقوع النكبة فعلياً.

تكثر الدجاجة العاقلة في أثناء تحقق ظهورات الحركات السابقة من ضخ عظات أخلاقية، وبوتيرة تقطع خط الرواية الدرامي الذي ترسمه هذه الحركات، وتلغي المسافة بين الراوي والكاتب[1]. تتركز هذه العظات حول ثنائية الخير والشر وتفريعاتها، نحو: الحق والباطل، العدل والظلم، المسامحة والانتقام، وغير ذلك من ثنائيات تكون الغلبة النهائية فيها، وفق فلسفة الدجاجة العاقلة، للشق الأول. في هذه العظات التي تقسّم العالم إلى منطقة بيضاء وأخرى سوداء وتلغي كل منطقة رمادية ممكنة بينهما، يستطيع قارئ مطلع أن يعثر على عدد من التلفظات المتناصة مع الكتاب المقدس، التي تنادي بعهد فلسطيني جديد بداياته غير مجهولة، لكن نهاياته الممكنة لم تزل، حتى الآن على الأقل، في علم الغيب.

2- التناص مع الكتاب المقدّس (العهد الجديد)

تُظهر الدراسات النقدية التي اعتنت بالتناص مع الكتب المقدسة (الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، والقرآن الكريم) أن لتعريب الكتاب المقدس أثرا ملحوظا في نصوص الأدب العربي

(1) هذه مسألة مهمة في تحييد استدراك مهم لإيجلتون مفاده أن النص لا يعكس بالضرورة إيديلوجية المؤلف، ينظر: إيجلتون، النقد والإيديولوجيا، ص 76، وللاستزادة حول المتعلقات الفنية لاختلاط صوت الرواي بصوت المؤلف، ينظر: الفاعوري، "قراءة في رواية مذكرات دجاجة"، ص 92.

بشكل عام[1]، وفي الأدب الفلسطيني بشكل خاص[2]. وتذهب الدراسات النقدية النظرية المهتمة بموضوع التناصية إلى أن تحديد مواطن التناص مرهون بمعرفة المتلقي بمصدر التناص الذي ينشأ عن علاقات يقيمها النص، أي نص، مع نص/نصوص أخرى بعدة طرق: أول هذه الطرق الاقتراضُ الحرفي، أي الاستشهاد، سواء وثّق أم لم يوثّق، والثاني الإحالةُ، أي الاقتراض الواضح غير الحرفي، والثالث التلميحُ، أي اقتراض غير حرفي وغير واضح[3]. إن كشف النوعين الأخيرين من طرف المتلقي يحتاج إلى قدر من الربط والتحليل عن طريق كشف العلاقات الخارجية أو السياقية (Extra-textual) بين النص ومصدر التناص، والعلاقات الداخلية أو الترادفية (Intra-textual) للنص المتناص نفسه[4].

يستطيع قارئ يمتلك دراية معقولة في الكتاب المقدس، أن يعيّن في رواية مذكرات دجاجة مواقعَ تناصٍ مع هذا الكتاب، وتعيين هذه المواقع أمر حيوي في مسألة البنيات الإيديولوجية التي سيضطلع محور البحث الثالث بدراسة تمفصلاتها. يتوزع تناص الرواية مع الكتاب المقدس على الإحالة والتلميح، ويأتي في الغالب، على لسان الدجاجة العاقلة التي تكثر من الوعظ الذي يقرب المسافة بين من يروي في النص (الدجاجة) وبين كاتب هذا النص (إسحق موسى الحسيني) أو يلغيها، ثم يشظّي، كما مر، الخط الدرامي للرواية. ترتد كل الإحالات والتلميحات الواردة في الرواية إلى آيات إنجيلية مشهورة يكثر استخدامها في المستويين الرسمي والشعبي، وتحوك، علاوة على علاقاتها الخارجية مع

(1) حول الأدب العربي والتناص مع الكتاب المقدس، ينظر: مسروجي، لينا فائق بركات. المتناص مع الكتاب المقدس المسيحي في الأدب العربي الحديث لبلاد الشام ومصر، وعلاقته بتطور الفكر العربي: دراسة في علاقة الأدب بالإيديولوجيا (رسالة ماجستير غير منشورة). برنامج الدراسات العربية المعاصرة، كلية الآداب، جامعة بيرزيت، فلسطين، 2006.

(2) حول الأدب الفلسطيني والتناص مع الكتاب المقدس، ينظر: نمر موسى، إبراهيم. آفاق الرؤيا الشعرية: دراسات في أنواع التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر. ط1، وزارة الثقافة الفلسطينية، رام الله، 2005.

(3) للاستزادة حول نظرية التناص ينظر: حسني، المختار. "نظرية التناص." علامات، مجلد 9، عدد 34، كانون أول 1999، ص 242-255.

(4) حول تفصيل هذه المسألة، ينظر: حافظ، صبري. أفق الخطاب النقدي: دراسات نظرية وقراءات تطبيقية. ط1، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996، ص 53-54.

آيات إنجيلية بعينها، شبكةً من العلاقات الداخلية فيما بينها يصعب معها استبعاد المصدر الإنجيلي. لقد تركزت الإحالات والتلميحات، التي شكل تقاطعها سدى شبكة العلاقات الداخلية ولحمتها في الرواية، على رزمة مبادئ يكثر التذكير بها في عظات رجال الدين المسيحي بوصفها إنجيل الإنجيل أو زبدته، ومن أهم هذه المبادئ التي وردت في الرواية: الترفّع عن الماديات وعن الطمع، والترفع عن الانتقام ممن تسلّط أو اعتدى، والاضطلاع بالمهمة الكبرى التي ستؤدي عند تمامها إلى حالة خلاصية مستدامة من كل شر محيق.

تكثر الدجاجة العاقلة من تمرير عظاتها لأترابها حول الترفع عن الماديات وعن الطمع، وتؤكد لهن أن النعمة" في المتاع أو المسكن أو الملبس، أو الطعام أو الشراب"[1]، وأن من "يتفرغ للحياة المادية يحسب أن المادة قوام حياته"[2]، فالجسم بحسب الدجاجة "لا يتغذى بالمادة وحدها، وإنما تغذيه عناصر أبعد ما تكون عن المادة"[3]. تحيل هذه العبارات، بشكل غير حرفي، على الآية المشهورة في الكتاب المقدس "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان"[4]، وكذا تتصادى مع تأكيد السيد المسيح الدائم لتلامذته على أن يتحفظوا عن كل طمع "لأن الإنسان، وإن كان في سعة، فحياته لا تقوم على ما ملكت يده"[5]. في سياق حديثها الموفور عن الترفع عن الماديات وترك الطمع، تؤكد الدجاجة العاقلة أيضا "أن الرزق موفور لجميع المخلوقات"[6]، لكنها مع ذلك تتهافت، أي المخلوقات، "على السلب والنهب وتخليص اللقمة من فم الغير"[7]، وتنسى بفعلها هذا أن "الحَبَّ ملء الأرض وهو مشاع لجميع المخلوقات" ويكفي الكل، ولا حاجة إلى أن يتكالب عليه أحد. تلمح هذه العبارات، مثل سابقاتها، إلى آيات إنجيلية منها أن طيور السماء "لا تزرع ولا تحصد، ولا تجمع في الأهراء"[8]، لكن لا "يُنسى واحد أمام الله"، فـ"الإنسان أفضل من عصافير كثيرة"[9]. تؤكد الدجاجة أن هذا التهافت حباً في إحراز المادة

(1) الحسيني، مذكرات دجاجة، ص 21.

(2) المصدر نفسه، ص 83.

(3) المصدر نفسه، ص 82.

(4) الكتاب المقدس، إنجيل متى، الإصحاح الرابع، الآية 4، وإنجيل لوقا، الإصحاح الرابع، الآية 4.

(5) المصدر نفسه، إنجيل لوقا، الإصحاح الثاني عشر، الآية 15.

(6) الحسيني، مذكرات دجاجة، ص 64.

(7) المصدر نفسه، ص 79.

(8) الكتاب المقدس، إنجيل متى، الإصحاح السادس، الآية 26.

(9) الكتاب المقدس، إنجيل لوقا، الإصحاح الثاني عشر، الآية 7.

يجعل الإنسان يستهين "بجميع الوسائل الشريفة"[1] المرضية عند الله، ويجعله متهاونا في "بذل كرامته"[2]، فهو لا يستطيع أن يخدم كرامته ويخدم المادة في آن واحد. في الآية الإنجيلية المشهورة يقول السيد المسيح "ما من خادم يستطيع أن يخدم سيدين: فإما يبغض الواحد ويحب الآخر، أو يلزم الواحد ويرذل الآخر. لا يمكنكم أن تعبدوا الله والمال"[3]، أي المادة التي ظل السيد المسيح يحذر التلاميذ من شرورها، ويحثهم على ترك ممتلكاتهم من مال ومتاع ومسكن إذا أرادوا أن يكونوا أتباعه بحق.

في سياق اقتحام الغرباء مسكن الدجاجات والتضييق عليهن واحتلال مواقعهن، تحدثت الدجاجة العاقلة عن أهمية أن لا يقابل أحدٌ "الشر بالشر والظلم بالظلم والعدوان بالعدوان"[4]. لا يخفى أن العبارة المنصصة تذكّر بما ورد على لسان السيد المسيح في خطبه الكثيرة، خصوصا في خطبة التطويبات المشهورة؛ قال عليه السلام: "سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن، أما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضا، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا... أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم"[5]. وفي تلميح قريب من الاقتراض غير الحرفي إلى عبارة السيد المسيح حين خاطب تلميذه قائلا: "رد سيفك إلى مكانه لأن كل الذين يأخذون السيفَ بالسيف يهلكون"[6]، تواصل الدجاجة العاقلة الحديث إلى تلميذاتها قائلة: إن من "التجأ إلى القوة حينا أُلجيء إليها حينا آخر ومن صرع بقوته يوما صرعته قوة غيره يوماً آخر"[7].

صحيح أن الدجاجة الحكيمة استطاعت بمنطقها السالف أن تثبط عزيمة الدجاجات الثائرات، وتقنع الديك المتصدّر بأن لا جدوى من الثورة، ومن الأفضل أن يحجم هو، وتحجم الدجاجات، عن مقاومة الدجاجات الغريبات اللواتي يزاحمنهن على المأوى، لكنها لم تكتف بذلك فحسب، بل قطعت

(1) الحسيني، مذكرات دجاجة، ص 155.

(2) المصدر نفسه، ص 155.

(3) الكتاب المقدس، إنجيل متى، الإصحاح السادس، الآية 24، وإنجيل لوقا، الإصحاح السادس عشر، الآية 13.

(4) الحسيني، مذكرات دجاجة، ص 127.

(5) الكتاب المقدس، إنجيل متى، الإصحاح الخامس، الآيات 44-38.

(6) المصدر نفسه، الإصحاح السادس والعشرون، الآيات 53-52.

(7) الحسيني، مذكرات دجاجة، ص 156.

في توجيهاتها ميلاً إضافياً مؤكدة على ضرورة أن تترك الدجاجات البيت بأكمله للغربيات اللواتي أردن "الثوب" وحصلن، بفضل هذا المنطق، على وزنة إضافية: هي "رداء" المطرودين. لقد أغلقت الدجاجة سبل المقاومة كلها أمام تلميذاتها، لكنها تركت بابَ أمل واحداً مفتوحاً على مصراعيه: بابَ ما يُطلق عليه في المسيحية "المهمة الكبرى".

يعود أصل كلمة إنجيل إلى الكلمة اليونانية "إيفانجليون"، وتعني من ضمن ما تعني "البشارة المفرحة"، ولربما لا يختلف اثنان، إذا جاز لنا أن نؤثّل الكلمة تأثيلا ثقافيا، حول ارتباطها ارتباطاً وثيقاً بالمسيحية. يكثر في الأدبيات المسيحية استخدام هذه الكلمة باشتقاقاتها المتنوعة (بشّر، تبشير، بشرى...) في سياق ذكر المهمة الكبرى التي أوكلها السيد المسيح إلى تلاميذه قبل صعوده إلى السماء، والمهمة الكبرى في المسيحية تعني أن ينتشر التلاميذ (الرّسل) في أرجاء الأرض لنقل البشارة المفرحة، أي رسالة السّيد المسيح، إلى الأمم جميعها.

بعد أن نجحت الدجاجة العاقلة في إقناع الدجاجات بضرورة التخلي عن الثورة ضد الغرباء والعماليق، أوكلت لأتباعها من الدجاجات أن يضطلعن هن أيضا بمهمة كبرى تأتي، كما في الأناجيل الثلاثة الأولى (متى ومرقس ولوقا) نهايةَ الرّواية، وتشكّل القرينة القاطعة على تناص الرواية مع الكتاب المقدس، وتقدّم في تشابكها الداخليّ مع الإحالات السابقة أو التلميحات دعماً إضافياً للقول في الأصول الإنجيلية لتلفظات الدجاجة التي أكدت، بدورها، على أهمية أن يذهب/ينتشر أتباعها من أجل أن يبشروا الأمم جميعها بالخضوع للحق. تقول الدجاجة: " ليس لكم إلا أن تنتشروا في هذه الأرض، وتبشّروا الخلق بالخضوع للحق وحده... ليذهب كل منكم إلى بقعة من بقاع الأرض وليوقف نفسه على نشر العدل والمساواة والمحبة بين الخلق جميعا"[1]، أي اذهبوا، بحسب إنجيل متى، و"تلمذوا جميع الأمم"[2] أو بحسب إنجيل مرقس" إذهبوا في العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل (البشارة) للخليقة كلها"[3].

المطلب الثالث: مذكرات دجاجة وتمفصل الإيديولوجيات الثلاث

ورد في محور البحث الأول أن التشكيلات الاجتماعية المختلفة تستدعي صيغة إنتاج أدبية معينة تتفاوت بين تبعيتها لتشكيل اجتماعي ما واستقلالها عنه. هذا يعني أن كل نص من النصوص

(1) الحسيني، مذكرات دجاجة، ص 153.

(2) الكتاب المقدس، إنجيل متى، الإصحاح الأخير، الآيات 20-19.

(3) الكتاب المقدس، إنجيل مرقس، الإصحاح الأخير، الآية 15.

يُدخلن، بلغة إيجلتون، علاقات إنتاجه، ويكوّن، بالنتيجة، الشفرة الداخلية لإيديولوجيته الخاصة. ورد أيضا، أن تمفصل صيغة الإنتاج العامة وصيغة الإنتاج الأدبية تعكس وتعزز تشكيلا إيديولوجيا سائدا أو عاما يجعل النصوص غير بريئة بالضرورة؛ ذلك لأن أي نص هو حقل مجرّح بفعل رزمة من مختلف الصراعات التي تعيّن لهذا النص دوراً حاسماً في تحقيق سيطرة طرف على طرف: كأن يحقق النص، إذا جاء متناظراً مع إيديولوجية سائدة، سيطرة طبقة (مستعمِرة مثلا) على طبقة (مستعمَرة) ويحقق، بالتالي، إيديولوجيتها، أو يحقق، إذا جاء متنافراً مع الإيديولجية السائدة، مسألة ترميم هوية المستعمَر ومرويته. يكشف هذا التمفصل، متناظراً أو منفصلاً أو متناقضاً، عن صيغة اندراج سيرة المؤلف (إيديولوجيته) في الإيديولوجيا العامة التي تتحدد، بحسب إيجلتون أيضا، بتأثير من الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها ومتعلقات ذلك من مصالح وتوجهات ومواقع، وبتأثير من الجنس والقومية والدين وغيرها. هذا التمفصل بين الإيديولوجيا العامة وإيديولوجيا المؤلف يجعل من أي نص نتاجاً لوضعية معينة، ويجرده من أي إمكانية يكون معها نتاجا سالبا.

ما هو، بالنظر إلى ما سبق، شكل تمفصل الصيغ الثلاث (الإيديولوجيا العامة، وايديولوجيا المؤلف، وإيديولوجيا النص) في حالة رواية "مذكرات دجاجة"؟ وكيف يسم هذا التمفصل العملَ في الشرط التاريخي الذي أنتج فيه؟

1- الإيديولوجيا العامة زمن الانتداب

عاشت فلسطين في الربع الأول من القرن العشرين مرحلة انتقالية بين عهدين: عهد عثماني، له ما له وعليه ما عليه، كانت خلاله فلسطين جزءا من الشام في الجغرافيا وفي الولاء، وعهد آخر بدأ بعد ترتيب سياسي وزّعت فيه الدول التي انتصرت في الحرب العالمية الأولى "تركةَ" العثمانيين. صارت فلسطين، وفق هذا الترتيب، من حصة البريطانيين الذين أخضعوها لانتداب يتصدر أجندته، إن كان في الأجندة بنود رئيسة أخرى، تسهيلُ تحقيق حلم اليهود بإنشاء وطن قومي على الأرض الفلسطينية تنفيذا لوعد وزير خارجيتهم بلفور. لتحقيق هذا المسعى الاستيطاني، حكمت بريطانيا فلسطين خلال فترة الانتداب الذي دام ثلاثين عاماً حكماً مباشراً لا يختلف عن حكمها المباشر لمستعمراتها سوى أن أُطلق، زوراً، على الهيئة التي كانت تتولى إدارة شؤون البلد حكومةَ فلسطين. شكّل الانتداب لجانا صورية موجّهة ومميِّعة لمتابعة تظلمات الفلسطينيين من طبيعة هذا الحكم، ومن حجم تدخلات يهود المستوطنات في إدارة شؤون البلاد خدمةً لمصالحهم، وحرص، بشكل متواز، على فتح باب هجرة اليهود الذين دخلوا فلسطين في موجاتٍ عبر البر والبحر والجو، وقدّم لهم تسهيلات

اقتصادية وسياسية وعسكرية ترتّب عليها نتائج كارثية منها: ارتفاع أعدادهم مقابل أعداد الفلسطينيين، وارتفاع نسبة ملكيتهم للأرض، وتفوقهم اقتصادياً وعسكرياً[1].

أمام إيديولوجية المستعمِر العامة هذه، وأمام رؤية تطبيقاتها العملية على الأرض وما رافق ذلك من قمع وتسويف ورقابة[2]، تحولت فلسطين زمن الانتداب البريطاني إلى منطقة توتر شديد، وشرع الفلسطينيون في صياغة إيديولوجية عامة تتناقض مع إيديولوجية المستعمِر؛ فقد انتفضوا، والمؤامرة تتكشف أمام عيونهم، أكثر من مرة، وأشعلوا، بوتائر متفاوتة، ثورات متوالية بدأت في العقد الثاني من القرن الماضي، وظلت مستمرة حتى وقوع النكبة عام 1948. كان للمثقف الفلسطيني في هذا الصراع دور ريادي لا يفصل، بلغة فيصل دراج، "بين الكتابة وأسئلة الواقع"[3]، ولا يرى في التعليم امتيازا يقصي صاحبه عن نبض الشارع؛ فقد اضطلع عدد كبير من المثقفين بقيادة الجماهير وتثويرهم وتنظيمهم، وانبرت أقلامهم، في الشعر وفي النثر الفني والأدبي، تنتقد ممارسات الانتداب والمخططات الصهيونية، وتحث القيادات والفواعل المحلية لكي تعيد النظر في رهانها على تغيّر موقف بريطانيا وشكلِ التفاتها إلى مصالح الفلسطينيين[4]. ما هو، والحال كذلك، شكل إيديولوجية إسحق موسى الحسيني، أو كيف تمفصلت سيرته مع الإيديولوجيا العامة لينتج عنها نص "مذكرات دجاجة"؟

2- إيديولوجيا المؤلف والنص: قراءتان اثنتان ونتيجة واحدة

حتى يكون الحكم دقيقا على شكل اندراج سيرة الحسيني أو إيديولوجيته في الإيديولوجيا الفلسطينية العامة، لا بد من التأكيد على أهمية تحديد الإطار الزمني الذي يجوز معه الحكم على طبيعة هذا الاندراج أو التمفصل. إن أي كلام حول إيديولوجية الحسيني يتجاوز العام 1943 الذي نشرت فيه رواية مذكرات دجاجة هو، بالأساس، كلام حول ما صارت عليه إيديولوجية الرجل بعد

(1) للمزيد حول شكل الإدارة الانتدابية وممارساتها في فلسطين، ينظر: السوافيري، كامل. الأدب العربي في فلسطين من سنة 1860-1960. دار المعارف، القاهرة، د. ت. ص 65-57 .

(2) حول موضوع الرقابة على الأقلام وعلى التعليم زمن الانتداب البريطاني، ينظر على سبيل المثال: كبها، مصطفى: "مثقف فلسطيني في فترة الانتداب: أكرم زعيتر مثقفا ومربيا (1925-1939)." موقع مجمع اللغة العربية (في الداخل الفلسطيني المحتل عام 1948)، www.arabicac.com، واسترجع بتاريخ 2-12-2020.

(3) دراج، فيصل. ذاكرة المغلوبين، الهزيمة والصهيونية في الخطاب الثقافي الفلسطيني. ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2002، ص 11.

(4) ينظر: الشريف، ماهر. المثقف الفلسطيني ورهانات الحداثة (1908-1948). ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2020، ص 137-142.

كتابة الرواية، وليس حول ما كانت عليه قبل كتابتها وعندها؛ لذا لن يقحم هنا، التزاما بهذا التحديد، أي حديث عن فعل الحسيني في المجال العام والمجالين الأكاديمي والثقافي بعد العام المذكور.

ولد إسحق موسى الحسيني في القدس عام 1904، وتلقى تعليمه في الكتاتيب أولاً، ثم درس في مدرسة الفرير، والتحق بعدها بالمدرسة الرشيدية التي عاد إليها أستاذاً بعد أن حصل على شهادة دبلوم في الصحافة من الجامعة الأمريكية في القاهرة عام 1926. رجع الحسيني في العام 1927 إلى القاهرة مرة أخرى والتحق بالجامعة المصرية، وتخرج فيها عام 1930 حاملا درجة الليسانس في اللغة العربية، ثم التحق في العام نفسه بمعهد الدراسات الشرقية التابع لجامعة لندن، حيث درس الآداب واللغات السامية على أستاذه المستشرق هاملتون جب، ونال في العام 1934 درجة الدكتوراه عن رسالته حول ابن قتيبة. عاد الحسيني بعد هذه الرحلة الأكاديمية إلى القدس وعمل مدرساً في المدرسة الرشيدية، ثم في الكلية العربية التي ظل فيها حتى عين مفتشاً أعلى لمبحث اللغة العربية في إدارة المعارف العامة في فلسطين عام 1946، وبقي يشغل هذا المنصب حتى وقوع النكبة التي عيّنت بداية عمله الأكاديمي الرفيع خارج فلسطين في العديد من الجامعات العربية والأجنبية[1]. ألّف الحسيني حتى وفاته عام 1990 سبعة عشر كتابا، ولم ينشر من هذه الكتب حتى العام 1943 سوى ثلاثة، هي: رأي في تدريس اللغة العربية (1937)، وعلماء المشرقيات في إنجلترا (1940)، ومذكرات دجاجة (1943)[2].

عندما يُطابق ما ورد في هذه النبذة من حياة إسحق موسى الحسيني الأكاديمية مع ما ورد في العديد من المراجع التي تحدثت عن دور المثقفين الفلسطينيين زمن الانتداب البريطاني، يتكشف أن انغماس الحسيني في الشأن الفلسطيني العام حتى سنة 1943 لم يكن لافتاً، لأن الرجل، بحسب إيلان بابيه في كتابه عن آل الحسيني، لم يكن ذا اهتمام بالشأن السياسي الذي كان يعصف بفلسطين، ثم أدى لاحقاً إلى نكبتها[3]. لم يصنف الحسيني مثقفاً عضوياً مشتبكاً[1] مع نبض الشارع الفلسطيني

(1) للمزيد حول تعليمه وحول حياته العملية ينظر: العودات، يعقوب. أعلام الفكر والأدب في فلسطين. ط3، دار الإسراء، القدس، 1992، ص 116–117، وينظر: صالح، جهاد. الرواد المقدسيون في الحياة الفكرية والأدبية في فلسطين. الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين، رام الله، 2011، ج2، ص 140–141.

(2) للوقوف على عنوانات كتبه وحقولها ينظر: صالح، الرواد المقدسيون في الحياة الفكرية والأدبية في فلسطين، ص142–143.

(3) حول هذه المسألة، ينظر:

زمن الانتداب، بل وسم بالمتعلّم والأكاديمي الذي يرتد إلى عائلة/طبقة يبدو أنها يسرت له الأسباب، فوق شغفه الشخصي، لكيما يدرس بلا انقطاع حتى الحصول على الدكتوراه. يقل، والحال، ورود اسم الرجل مع أسماء مثقفين فلسطينيين[2] كانت لهم أدوار بارزة في صياغة خطاب مضاد[3] يعكس إيديولوجيا متناقضة مع إيديولوجيا المستعمِر، على الرغم من أن بعضهم عمل، تماما كما عمل الحسيني، في دوائر سلطة المعارف البريطانية، نحو: أكرم زعيتر وخليل السكاكيني وروحي الخالدي وعزة دروزة. لقد تمكن هؤلاء جميعا من تنوير الشارع الفلسطيني، ومن صياغة "ذاكرة وطنية فلسطينية قرأت المشروع الصهيوني بقلق كبير"[4]، وكان لبعضهم سُهمة في تثوير هذا الشارع وقيادته خلال الهبات الشعبية والاعتصامات والإضرابات والثورات التي قاومت الكيانيْن المتعاضدين: الانتداب والصهيونية[5].

يستعير فيصل دراج في مطلع دراسته عن إسحق موسى الحسيني المنشورة في مجلة الكرمل الفلسطينية، التي أعاد نشرها في كتابه "ذاكرة المغلوبين" نصاً لألتوسير مفاده أن "النص الذي لا يلتفت

Peppe, Ilan. The Rise and Fall of a Palestinian Dynasty: The Hisynis 1700-1948. Saqi Books, London, 2010, p 187.

(1) هذا التصنيف لجرامشي، وقد ورد في كتابه ذائع الصيت دفاتر السجن، حول تقديم مبسط لهذا المفهوم، ينظر: صبري، حافظ: "ولاءات المثقف ودلالات خياراته." الكلمة: مجلة أدبية فكرية، العدد 20، أغسطس 2008، www.alkalimah.net. استرجع بتاريخ 5-12-2020.

(2) في كتاب ماهر الشريف عن دور المثقفين الفلسطينيين مرّ اسم الحسيني ثلاث مرات، وفي سياق الحديث عن التعليم والمتعلمين عموما، وعند مقارنة ما خصص له مع ما خصص للسكاكيني مثلا (عشرات الصفحات)، يصبح جليا، مع قرائن من كتب أخرى سبق ذكرها، أن انخراط الرجل في الشأن العام قبل النكبة كان محدودا إلى درجة ملحوظة، ينظر: الشريف، المثقف الفلسطيني ورهانات الحداثة، ص 15، 16، 30، 33.

(3) "الخطاب المضاد" مصطلح استخدمه نقاد ما بعد الكولونيالية لوصف السبل التي "يمكن من خلالها توجيه الطعون من موضع الهامش ضد خطاب سائد أو راسخ، وعلى وجه الخصوص تلك الخطابات التي تخص المركز الإمبريالي" ينظر: أشكروفت، بيل، وآخرون. دراسات ما بعد الكولونيالية: المفاهيم الرئيسية. ترجمة: أحمد الروبي وآخرون، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010، ص 121.

(4) دراج، ذاكرة المغلوبين، ص 10.

(5) من أهم هؤلاء المثقفين أكرم زعيتر على سبيل المثال، ينظر: كبها، "مثقف فلسطيني في فترة الانتداب: أكرم زعيتر مثقفا ومربيا (1925-1939)."، ص 7-8.

إلى سياقه تشج رأسه دون أن يدري"[1]، والحقيقة أن رواية مذكرات دجاجة نص يمتلك أدوات تؤهل لشج رأسه ورأس كاتبه، دون أن ينكر أحدٌ على الرجل وطنيته التي ألقى عليها النص ظلالاً غطت، إلى حد ملحوظ، على كل ما صاره الرجل أو كتبه قبل هذا العمل وبعده[2].

قدّم الحسيني، بحسب قراءة أصحاب التيار الأول رواية ممعنة في استسلامها، وقد نفى الحسيني، دون أن يكون مقنعاً[3]، ما ذهب إليه أصحاب هذا التيار بخصوص ما تبطنه الرواية، وذلك في محاولة منه، كما يبدو، لحماية رأسه ورأس نصه من الشج. أن تتنازل الدجاجات الفلسطينيات عن الثورة وعن البيت في زمن فلسطيني ثائر، وأن ينتشرن في أرجاء المعمورة للاضطلاع بمهمتهن الكبرى على أمل تحقق العدل الدولي ونصرة الحق الفلسطيني، أمرٌ يتناقض مع المروية/ الإيديولوجية الفلسطينية العامة في زمن الثورات والاعتصامات، وغير منفصل انفصالاً تاماً، بوعي صاحبه أو بغير وعيه، عن مروية الآخر الذي طرب لخطاب يعطيه أكثر مما يؤمل: يعطيه فلسطينياً يترك بيته المشتهى عن طيب خاطر، وينتشر في أرجاء المعمورة ليبشر بالحق والعدل. لعل حالة الطرب هذه هي التي أجازت نشر الرواية بعد أن أحجمت دار الآداب المصرية عن نشرها في البداية تفادياً لأي إساءة ممكنة "للعملاق" العرّاب الذي يحكم البلدين (مصر وفلسطين) معا. لم تقم الدار المذكورة بنشر الرواية إلا بعد أن حمل الحسيني نفسه صك غفرانها إلى مصر ممهوراً بتوقيع كبير المستشرقين اليهود في الجامعة العبرية (الدكتور بنت)[4] يبرئ فيه النص من أي إساءة ممكنة لسياسة "العملاق" الذي أوقف الفلسطينيين على حافة جرف لم تردمه كل محاولات التفاوض السلمي حتى الآن.

(1) دراج، فيصل. "إسحق موسى الحسيني: الذات المجتهدة في فلسفة الاختصاص." مجلة الكرمل، رام الله، العدد61، خريف 1999، ص 6.

(2) يؤكد إيلان بابيه على تعمق اشتباك الحسيني في الشأن العام وحضوره بعد الحرب العالمية الثانية، ينظر:
Peppe, The Rise and Fall of a Palestinian Dynasty: The Husaynis 1700-1948, p 320.

(3) يشير الحسيني في إحدى مقالاته المتأخرة إلى أن الرواية ولدت في ظروف صعبة إبان الحرب العالمية الثانية وما ترافق معها من فرض للأحكام العسكرية ومتعلقات ذلك من تشديد الرقابة على الأقلام الفلسطينية؛ الأمر الذي جعله يلجأ إلى الأمثولة. ويشير الحسيني في مواقف أخرى إلى أن لا علاقة للرواية بالواقع السياسي الفلسطيني على الإطلاق، وأن القضية الفلسطينية لم تكن في وعيه المباشر عندما كتب المذكرات. ينظر على التوالي: الحسيني، إسحق. "ولادة مذكرات دجاجة." مجلة الشراع، بيروت، العدد 41، تموز 1981، ص 50، والأشتر، عبد الكريم. دراسات في أدب النكبة. ط1، دار الفكر، دمشق، 1975، ص 145.

(4) هذه معلومة تتردد في كثير من الدراسات التي سبق ذكرها في هذا البحث، ولم يتصد أحد لنفيها فيما أعلم.

في التيار الثاني، وقد تبناه الحسيني في أغلب الظن هرباً من بطش الكثر من أصحاب الاتجاه الأول، صار تأويل الرواية/الأمثولة باعتبارها رواية يوتوبية، تتجاوز الهم الفلسطيني إلى هم إنساني عام، وتبشر بحتمية انتصار المحبة وتحقق العدل بالطرق السلمية. تبقى علة هذه اليوتوبيا، في سياق تمفصل الإيديولوجيات الثلاث وطبيعته، أنها جاءت في الزمن الفلسطيني الذي مرّ وصفه، وتحديداً في زمن الأحكام العسكرية خلال الحرب العالمية الأولى. لم يسعف إيمان الحسيني بالأصل الطيب للإنسان الذي أفسدته المدنية وأفسده الطمع[1]، كما لم يسعفه المنقول عن خطبة التطويبات وغيرها من الكتاب المقدس، في أن يفلت رأسه أو رأس نصه من الشج. القراءة الثانية، تماما كما القراءة الأولى، تضع الرواية في موقع منفصل عن الإيديولوجية الفلسطينية، ولم تعق بالمقابل، حركة إعادة إنتاج إيديولوجية المستعمِر التي لم يضرها أن تعترف، تكتيكيا على الأقل، بتوجه الرواية حول الأصل الطيب وغلبة المحبة وترك الرداء والثوب لأزمنة إحقاق الحق، في حين تنفذ فواعلها خلاف ذلك على الأرض. هكذا ركن الحسيني غير السياسي، وكيفما صارت مقاربة روايته، إلى مقولات فوق– سياسية يطرب لها المستعمِرون، الذين يوفّر لهم إيمان المستعمَرين العميق بالعدل مهما طال الزمن، خشبةَ نجاةٍ إضافيةً يعوّمون عليها أهدافهم المعلنة وغير المعلنة قبل أن يصنعوا منها ومن غيرها صلباناً للمستعمَرين، ومنهم الفلسطيني الذي ما زال معلقاً على واحد منها منذ العام 1948 في انتظار يومه الثالث[2].

مختتم:

"القراءة" مصطلح نقدي كرسته مدرسة التلقي والتأويل، ويتعلق، بحسب نقاد هذه المدرسة، بانفتاح النص وتعدديته، ثم بتعدد القراء وتباين استعداداتهم وخلفياتهم؛ وعليه، فإن "قراءة" هذا البحث لرواية "مذكرات دجاجة" تتناقض وتتعاضد وتتحاور مع القراءات السابقة للرواية، ولا تدّعي حق إلغائها. اختلفت قراءة البحث لهذه الرواية عن قراءتها في الدراسات السابقة الكثيرة التي ذكرت في المتن، وقد صار تحقق هذا الاختلاف عبر محاور البحث الثلاثة. في المحور الأول، وهو تأطير نظري لم تتكئ عليه أي من الدراسات السابقة، مخض البحث بعضا من أهم أطاريح تيري إيجلتون الواردة في كتابه النقد والإيديولوجيا، وبيّن المقصود بصيغة الإنتاج العامة، وصيغة الإنتاج الأدبية، والإيديولوجيا

(1) يظهر في مواقع متعدد من الرواية تأثر الحسيني بأطاريح جون لوك حول الأصل الطيب للإنسان في حالة الطبيعة، هذا الأصل الذي أفسدته المدنية وأفسدته المطامع الدنيوية، ينظر: الحسيني، مذكرات دجاجة، ص 17، 18، 138، وغيرها كثير.

(2) الإشارة مجازية هنا، فالسيد المسيح، بحسب الكتاب المقدس، صلب ومات، ثم قام من القبر في اليوم الثالث.

العامة، وإيديولوجيا المؤلف، ومثّل لإمكانات استثمار ذلك في قراءة النصوص والحكم على شكل تمفصل إيديولوجيتها مع الإيديدولوجيا العامة وإيديولوجيا المؤلف. كشف البحث في محوره الثاني عن تناص الرواية مع الكتاب المقدس المسيحي، وهذه مسألة لم يلتفت إليها أي من الدراسات السابقة، ثم استثمر في محوره الثالث، وهو محور تطبيقي، أطاريح الإطار النظري ومسألة التناص في قراءة الرواية، وكشف عن طبيعة تمفصل الإيديولوجيا العامة وإيديوجيا المؤلف وإيديدولوجيا النص، وكشف، بالتالي، عن أن تباين قراءات الرواية في الدراسات السابقة يقود، منظورا إليه من زاوية تمفصل الإيديولوجيات الثلاث، إلى نتيجة واحدة مفادها أن نص مذكرات دجاجة، كيفما صارت قراءته، نصٌ منفصلٌ إيديولوجيّاً عن الإيديولوجيا الفلسطينية العامة التي كانت في حالة تمفصل متناقض مع الخطاب الاستعماري زمن الانتداب البريطاني في فلسطين.

المراجع

أ. بالعربية:

الأسد، ناصر الدين. الحياة الأدبية في فلسطين والأردن حتى سنة 1950. ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2000.

الأسد، ناصر الدين. خليل بيدس رائد القصة العربية الحديثة في فلسطين. ط2، وزارة الثقافة الفلسطينية، رام الله، 2001.

الأشتر، عبد الكريم. دراسات في أدب النكبة. ط1، دار الفكر، دمشق، 1975.

أشكروفت، بيل، وآخرون. دراسات ما بعد الكولونيالية: المفاهيم الرئيسية. ترجمة أحمد الروبي وآخرين، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010.

أونج، والتر. ج. الشفاهية والكتابية. ترجمة حسن البنا عز الدين، عالم المعرفة، الكويت، 1994.

إيجلتون تيري. النقد والإيديولوجيا. ترجمة فخري صالح، المؤسســـة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1992.

باختين، ميخائيل. الخطاب الروائي. ترجمة محمد برادة، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1987.

الجيوسي، سلمى الخضراء. مقدمة أنثولوجيا الأدب الفلسطيني الحديث. ترجمة عبد اللطيف البرغوثي، مطبعة جامعة كولمبيا، نيويورك، 1992.

حافظ، صبري. أفق الخطاب النقدي: دراسات نظرية وقراءات تطبيقية. ط1، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996.

حسني، المختار. "نظرية التناص." علامات، مجلد 9، ج 34، كانون أول 1999.

الحسيني، إسحق موسى. "ولادة مذكرات دجاجة." مجلة الشراع، بيروت، العدد 41، تموز 1981.

الحسيني، إسحق موسى. مذكرات دجاجة. منشورات الفجر، القدس، د. ت.

الخليلي، علي. الورثة الرواة، من النكبة إلى الدولة. ط1، مؤسسة الأسوار، عكا، 2001.

دراج، فيصل. "إسحق موسى الحسيني: الذات المجتهدة في فلسفة الاختصاص." مجلة الكرمل، رام الله، العدد 61، خريف 1999.

دراج، فيصل. ذاكرة المغلوبين: الهزيمة والصهيونية في الخطاب الثقافي الفلسطيني. ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2002.

السعافين، إبراهيم. نشأة الرواية والمسرحية في فلسطين حتى عام 1948. دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1985.

السوافيري، كامل. الأدب العربي في فلسطين من سنة 1960-1860. دار المعارف، القاهرة، د. ت.

الشريف، ماهر. المثقف الفلسطيني ورهانات الحداثة (1908-1948). ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2020.

الشيخ خليل، خالدة. الرمز في أدب غسان كنفاني. ط1، شرق برس، نيقوسيا– قبرص، 1989.

صالح، جهاد. الرواد المقدسيون في الحياة الفكرية والأدبية في فلسطين. الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين، رام الله، 2011، الجزء الثاني.

علوش، سعيد. معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصـــــر. ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2019.

العودات، يعقوب. أعلام الفكر والأدب في فلسطين. ط3، دار الإسراء، القدس، 1992.

الفاعوري، عوني. "قراءة في رواية مذكرات دجاجة." مجـــلة جامعة دمشـــق، المجلـــد 18، العدد 4-3، 2002.

قنازع، جورج. "قراءة جديدة لكتاب إسحق موسى الحسيني "مذكرات دجاجة"." مجلة الكرمل: أبحاث في اللغة والأدب، العدد2، 1981.

الكتاب المقدس. منشورات المكتبة البوليسية، لبنان، 1982.

المالكي، فرج عبد الحسيب. عتبة العنوان في الرواية الفلسطينية: دراسة في النص الموازي. 2003، جامعة النجاح الوطنية، رسالة ماجستير.

مسروجي، لينا فائق بركات. المتناص مع الكتاب المقدس المسيحي في الأدب العربي الحديث لبلاد الشام ومصر، وعلاقته بتطور الفكر العربي: دراسة في علاقة الأدب بالإيديولوجي. 2006، جامعة بيرزيت، رسالة ماجستير.

أبو مطر، أحمد. الرواية في الأدب الفلسطيني. ط1، المؤسسة العربية للدراســـات والنشـــر، بيروت، 1980.

النابلسي، محمود. الراوي والروائي: الشفاهية في بواكير الرواية الفلسطينية قبل عام 1948. 2018، جامعة بيرزيت، رسالة ماجستير.

نصار، نواف. معجم المصطلحات الأدبية. ط1، دار المعتز للنشر والتوزيع، عمان، 2011.

نمر موسى، إبراهيم. آفاق الرؤيا الشعرية: دراسات في أنواع التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر. ط1، وزارة الثقافة الفلسطينية، رام الله، 2005.

وادي، فاروق. ثلاث علامات في الرواية الفلسطينية: غسان كنفاني، إميل حبيبي، جبرا إبراهيم جبرا. ط2، دار الأسوار، عكا، 1985.

ياغي، عبد الرحمن. أكتبُ عن رواد النهضة في فلسطين. ط1، الدائرة الثقافية، أمانة عمان الكبرى، 2005.

ياغي، عبد الرحمن. حياة الأدب الفلسطيني الحديث من أول النهضة حتى النكبة. ط2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1981.

ب_ باللغة الإنجليزية

Baldick, Chris. The Concise Oxford Dictionary of Literary Terms. Oxford University Press, New York, 1991.

Khoury, Mousa M.. Storytelling and the Emergence of a Literary Genre. 1994, University of Michigan, Ph.D Dissertation.

Peppe, Ilan. The Rise and Fall of a Palestinian Dynasty: The Husaynis 1700-1948. Saqi Books, London, 2010.

Cuddon, J.A.. The Penguin Dictionary of Literary Terms and Literary Theory. Penguin Books, USA, 1992.

ت. مواقع إلكترونية:

حافظ، صبري. "ولاءات المثقف ودلالات خياراته." الكلمة: مجلة أدبية فكرية، www.alkalimah.net/Articles/Read/1475.html.

كبها، مصطفى. "مثقف فلسطيني في فترة الانتداب: أكرم زعيتر مثقفا ومربيا (1925-1939)." موقع مجمع اللغة العربية، www.arabicac.com/content.asp?id=286

الأسطا، عادل. "مذكرات دجاجة: الرواية الإشكالية." شاشة نيوز، www.shasha.ps/articles/314363.html.

References :

Arabic References:

`Abu Maṯar, `Aḥmad. Novel in Palestinian Literature. 1st ed., al-Mu`assasah al-ʿarabiyyah li al-Dirāsāt wa al-Našr, Beirut. 1980.

al- `Asad, Nāser al- Dīn. Ḫalīl Baydas: The Pioneer of the Modern Arab Story in Palestine. 2nd ed., Palestinian Ministry of Culture, Ramallah, 2001.

al- `Asad, Nāser al- Dīn. Literary life In Palestine and Jordan Until 1950. 1st ed., `al- Mu`ssasah `al ʿarabiyyah li `al- Dirāsāt wa al- Našr, Beirut, 2000.

al- Fāʿūrī, ʿawnī. “A Reading in A Diary of a Hin Novel.” Majallat Jāmiʿat Dimašq, vol. 18, no. 3-4, 2002.

al- Ḫalīlī, ʿali. Narrtors Heirs: From the Nakba to the State. 1st ed., al- `aswār, Acre, 2001.

al- Ḥusaynī, `isḥāq Mūsa. “The Birth of Diary of a Hin.” al- Širāʿ, Beirut, no. 41, July 1981.

al- Ḥusaynī, `isḥāq Mūsa. Diary of a Hin. Al-fajr, Jerusalem, n. d.

al- Māliki, Faraj ʿabd al-Ḥasīb. The Title in the Palestinian Novel: A Study in the Parallel Text. 2003, al-Najāḥ University, Master thesis.

al- Muḫtār, Ḥusnī. “Intertextuality Theory.” ʿalāmāt, vol. 9, no. 34, 1999.

al- Nābulusī, Maḥmūd. Storyteller and Narrator: Orality in Early Palestinian Novels before 1948. 2018, Birzeit University, Master thesis.

al- Šarīf, Maher. The Palestinian intellectual and the Challenges of Modernity. 1st ed., Mu`assat al-Dirāsā al-Filistīniyyah, Beirut, 2020.

al- Sawāfīrī, Kāmel. Arabic Literature in Palestine from 1860-1960. Dār al-Maʿāref, Cairo, n. d.

al- Šayḫ Ḫalīl. Symbol in Ghassan Kanfani’s Literature. 1st ed., Šarq Press, Nicosia, Cyprus, 1989.

al- Saʿāfīn, `Ibrāhīm. The Emergence of the Novel and the Play in Palestine until 1948. Dār al-Fikr li al-Našr wa al- Tawzīʿ, Amman, 1985.

al- ʿūdāt, Yaʿqūb. Figures of Thought and Literature In Palestine. 3rd ed., Dār al- `Isrā`, Jerusalem, 1992.

al-`Aštar, ʿabd `al- Karīm. Studies in Nakbah Literature. 1st ed., Dār `al- Fikr, Damascus, 1975.

Ashcroft, Bill, et al. Post-Colonial Studies: The Key Concepts. Translated into Arabic by `Aḥmad al- Durūbī et al, 2nd ed., al- Markaz al-Qawmī li `al- Tarjamah, Cairo, 2010.

Bakhtin, Mikhail. Estheque et Du Roman. Translated into Arabic by Muḥammad Barradah, 1st ed., Dār `al- Fikr li `al- Dirāsāt wa `al- Našr, Cairo, 1987.

Darrāj, Fayṣal. “`isḥāq Mūsa`al-Ḥusaynī: The Hardworking Self in the philosophy of Competence.” al-Karmel, Ramallah, no. 61, Autumn 1999.

Darrāj, Fayṣal. Memory of the Overwhelmed: Defeat and Zionism in Palestinian Cultural Discourse. 1st ed., al-markaz al-Ṭaqāfī al-ʿarabī, Casablanca, 2002.

Eaglton, Terry. Criticism and Ideology. Translated into Arabic by Faḫrī Ṣāleḥ, al-Mu`assasah `al-ʿarabiyya li `al- Dirasāt wa `al- Našr, Beirut, 1992.

ḤāfeẐ, Ṣabrī. Critical Discourse Horizon: Theoretical Studies and Applied Readings. 1st ed., Dār Šarqiyyāt li al- Našr wa `al- Tawzīʿ, Cairo, 1996.

Masrūjī, Līnā Fā`q Barakāt. Intertextuality with the Bible in Modern Arabic Literature of the Levant and Egypt, and its Relationship to the Development of Arab Thought: A Study in the Relationship of Literature and Ideology. 2006, Birzeit University, Master thesis.

Namer Mūsa, `Ibrāhīm. Horizons of Poetic Vision: Studies in the Types of Intertextuality in Contemporary Palestinian Poetry. 1st ed., Plaestinian Ministry of Culture, Ramallah, 2005.

Nassār, Nawwāf. Dictionary of Literary Terms. 1st ed., al-Muʿtaz li al- našr wa al-Tawzīʿ, Amman, 2011.

Qanāzeʿ, George. "`isḥāq Mūsa`al-Ḥusaynī's Diary of a Hin: A New Reading." Majallat al- Karmel: `abḫāṯ fi al- Luḡa wa al-`Adab, no. 2. 1981.

ṢāleḪ, Jihād. Jerusalemite Pioneers in Intellectual and Literary Life in Palestine. al-`Itiḥād al-ʿām li al-Kutā wa al- `Udbā` al-Filisṯīniyyīn, Ramallah, 2011, part two.

The Bible. Manšūrāt al Maktabah al-Būlisiyah, Lebanon, 1982.

Wādī, Fārūq. Three Voices in the Palestinian Novel: ḡassān Kanafānī, `Imīl Ḥabībī, Jabra `Ibrāhīm Jabra. 2nd ed., Dār al-`Aswā, Acre, 1985.

Walter J, Ong. Orality and Literacy. Translated into Arabic by Ḥasan al-Bannā ʿizz `al- Dīn, ʿālam al –Maʿrifah, Kuwait, 1994.

Yāḡī, ʿabd al-Raḥmān. I Write about the Pioneers of the Renaissance in Palestine. 1st ed., Cultural Department, `Amānat ʿammān al-Kubrah, Amman, 2005.

Yāḡī, ʿabd al-Raḥmān. The Life of Modern Palestinian Literature from the Beginning of the Renaissance until the Nakba. 2nd ed., Manšūrāt Dār al-`Āfāq al- Jadīdah, Beirut, 1981.

ʿallūš, Saʿīd. A Dictionary of Contemporary Literary Criticism Terms. 1st. ed., Dār al-Kitāb al- Jadīd al-Mutaḥidah, Beirut, 2019.

English References:

Baldick, Chris. The Concise Oxford Dictionary of Literary Terms. Oxford University Press, New York, 1991.

Cuddon, J.A.. The Penguin Dictionary of Literary Terms and Literary Theory. Penguin Books, USA, 1992.

Jayyusi, Salma Khadra, editor. Anthology of Modern Palestinian Literature. Coumbia University Press, New York, 1992.

Khoury, Mousa M.. Storytelling and the Emergence of a Literary Genre. 1994, Near Eastern Studies, University of Michigan.

Peppe, Ilan. The Rise and Fall of a Palestinian Dynasty: The Husaynis 1700-1948. Saqi Books, London, 2010.

Webpages:

Al- `Usṯa, ʿādel. "Diary of a Hin: The Problematic Novel." Šāšah nyūz, www.shasha.ps/articles/314363.html.

ḤāfiẒ, Ṣabrī. "The Loyalties of the Intellectual and the Implications of his Choices." al- Kalimah, www.alkalimah.net/Articles/Read/1475.html.

Kabhā, Muṣṯafa. "A Palestinian Intellectual During the Mandate Period: `akram zuʿaiter an Intellectual and Educator 1925-1939." Mawqiʿ Majmaʿ al- lugah al- ʿarabiyyah, www.arabicac.com/content.asp?id=286.